الآفة السادسة والعشرون
الحقـــد

والآفة السادسة والعشرون التى قد ابتلى بها نفر من العاملين، بل لقد ابتلى بها كثيرون بالفعل، وكانت سببا فيما نشهده على الساحة اليوم من كيل الاتهامات للمجاهدين الصادقين إنما هى : « الحقد » .

وحتى يتطهر منها من ابتلى بها، ويسلم منها من عافاه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ منها، فإنه لابد من إعطاء تصور دقيق، وواضح عنها على النحو التالى :

أولا : تعريف الحقد :

لغة : الاحتباس والمنع، يقال : حقدَ المطر حَقْدا، وأحقد : احتبس ومنع .

وقال ابن الأعرابى : حقد المعدن وأحقد: إذا لم يخرج منه شىء، وذهبت منالته، ومعدن حاقد: إذا لم ينل شيئا، وأحقد القوم : إذا طلبوا من المعدن شيئًا، فلم يجدوا، والحقود : كثير الحقد [1] ، والأحقاد: التصيير إلى الحقد، نقول : أحقده الأمر، وأحقده غيره، صيره حاقدًا .

والضغن لغة :

أ ـ الميل أو الجور نقول : ضغنوا عليه : مالوا عليه، واعتمدوا بالجور، وقال ابن الأعرابى : ضغنت إلى فلان : ملت إليه، كما يضغن البعير إلى وطنه، وإذا قيل فى الناقة : هى ذات ضغن، فإنما يراد نزعها ـ أى الشوق إلى وطنها ـ وربما استعير ذلك فى الإنسان .

ب ـ الانطواء على الحقد، نقول: تضاغن القوم واضطغنوا: انطووا على الأحقاد.

جـ ـ الامتناع عن إعطاء كل ما فى النفس لسبب ما، نقول : فرس ضاغن، وضغن: لا يعطى كل ما عنده من الجرى حتى يضرب، وقال أبو عبيدة : فرس ضغون ـ الذكر والأنثى فيه سواء ـ وهو الذى يجرى كأنما يرجع القهقرى، وفى حديث عمر :

---

(١) انظر: لسان العرب ٢ / ٩٣٨، ٩٣٩، وتاج العروس للزبيدى ٢/ ٣٣٨، مادة : « حقد » .

«والرجل يكون فى دابته الضغن فيقومها جهده، ويكون فى نفسه الضغن فلا يقومها»، والضغن فى الدابة أن تكون عسرة الانقياد . ولا تعارض بين هذه المعانى الثلاثة؛ إذ هو الانطواء على الحقد [(١)] ، المعبر عنه أحيانا بالميل أو الجور بصورة تمنع من إعطاء كل ما فى النفس .

والوغر لغة :

أ ـ شدة توقد الحر أو الاحتراق من الغيظ، نقول : فى صدره علىَّ وغر ـ بالتسكين : ضغن، وعداوة، وتوقد من الغيظ، والمصدر الوغر بالتحريك .

ب ـ الامتلاء غيظا، نقول : وغر صدره عليه، يوغر وغرا، ووغر يغر : إذا تجرع أو امتلأ غيظا وحقدا، والتوغير : الإغراء بالحقد، وأوغرت صدره على فلان : أوقدته، وأحميته من الغيظ .

جـ ـ الصوت، وهو مشتق من إيغار الخراج، وهو أن يؤدى الرجل خراجه إلى السلطان الأكبر فرارا من العمال . ولا تعارض ؛ إذ هو امتلاء القلب غيظا وحقدا، بصورة توقده وتحرقه [(٢)] .

والدَّوى لغة : الضغن أو المرض والسل، أو هو داء باطن فى الصدر يقال : تركت فلانا دوى ، ما أرى به حياة، وفى حديث أم زرع : كل داء له داء، أى كل عيب يكون فى الرجال فهو فيه ، فجعلت العيب داء، وقولها : له داء : خبر لكل ، ويحتمل أن يكون صفة لداء، وداء الثانية خبر لكل، أى كل داء فيه بليغ متناه، كما يقال: إن هذا الفرس فرس [(٣)] .

والغل لغة : الغش أو الضغن والحقد، نقول : غل صدره غلا وغليلا : كان ذا غش، أو ضغن، وحقد [(٤)] ، ومنه قوله سبحانه فى التنزيل : ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍ** ﴾ [الأعراف : ٤٣، الحجر : ٤٧] .

اصطلاحًا : أما فى الاصطلاح فإن الحقد وما فى معناه من : الضغن، والوغر، والدوى والغل يعنى : حبس أو إمساك العداوة والبغضاء فى الصدر للعجز عن التشفى

---

(١) انظر : لسان العرب ٤ / ٢٥٩٢، ٢٥٩٣، وتاج العروس ٩ / ٢٦٤، مادة : « ضغن » .
(٢) انظر : لسان العرب ٦ / ٤٨٧٨، ٤٨٧٩، وتاج العروس ٣ / ٦٠٤، مادة : « وغر » .
(٣) انظر : لسان العرب ٢ / ١٤٦٣ ـ ١٤٦٥، مادة : « دوا » بتصرف كثير .
(٤) انظر : المعجم الوسيط ٢ / ٦٥٩، ٦٦٠ بتصرف كثير .

حالا مع التربص أو التحين للتعبير عنها بصورة من الصور، أو شكل من الأشكال مآلا، وعرفه الشريف الجرجانى بقوله : « الحقد : هو طلب الانتقام، وتحقيقه أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفى فى الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه، فصار حقدا »[١]، أو هو : « سوء الظن فى القلب على الخلائق لأجل العداوة »[٢]، والتعريف الأول الذى نقلناه عن الجرجانى لا يختلف كثيرا عن التعريف الذى ذكرناه، أما التعريف الثانى فإنه تعريف للحقد ببيان آثاره .

وقال الغزالى : « ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله، والبغضة له، وأن يدوم ذلك ويبقى »[٣] .

ويعرفه الشيخ عبد الرحمن الميدانى بقوله: « والحقد هو العداوة الدفينة فى القلب، والعداوة هى كراهية يصاحبها رغبة بالانتقام من الشخص المكروه إلى حدِّ إفنائه وإلغائه من الوجود، ومن مرادفات الحقد تقريبا : كلمة الغل، فالغل هو العداوة المتغلغلة فى القلب، ومن مرادفاته أيضا : الضغن، والشحناء، فهى جميعا كلمات تدور حول معنى واحد أو معان متقاربة، ترجع بوجه عام إلى معنى العداوة، مع بعض فروق فى الدلالات »[٤] .

ثانيًا : صور الحقد وحقيقته فى الإسلام :

وللحقد صور تدل عليه، وأمارات يعرف بها، منها :

١ ـ تشويه صورة وسمعة البررة المجاهدين الذين وقفوا حياتهم على دين الله فعاشوا وماتوا لهذا الدين، وعلى هذا الدين، وما كان لهم من جريرة أو ذنب إلا أنهم يقولون : ربنا الله، وأن سمعتهم، ودعوتهم طارت فى الخافقين .

٢ ـ الوقوف عند بعض الأخطاء التى تاب منها أصحابها، وانتشرت هذه التوبة فى كل الأوساط حتى عرفها العام والخاص، والقاصى والدانى، ثم إشاعة هذه الأخطاء بين الناس فى كتب ومؤلفات أو أشرطة كاسيت، لتشويه صورة أصحابها، والتشويش على المنهج الذى يعتنقون، والدعوة التى لها يعملون، مثل التعليق المستمر على موقف الأستاذ سيد قطب من بعض الصحابة مع أنه تاب ورجع عن ذلك .

(١، ٢) انظر : التعريفات ص ٩١ نقلا عن الغزالى فى : إحياء علوم الدين ٣ / ٢٦٦ .

(٣) انظر : إحياء علوم الدين ٣ / ٢٦٦ .

(٤) انظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها ١ / ٨٧٥ .

٣ ـ تفسير بعض المواقف التى أملتها وتمليها حكمة الدعوة إلى الله من بعض الدعاة على أنها عمالة، وجاسوسية، وعلى أن أهلها ماسونيون أو رافضة، أو كفار مبتدعون .

٤ ـ الحط على كل من لا يذعن لهم بالولاء، أو يخالفهم المذهب والمشرب، أو كان سببا فى تعريتهم، وكشف سوءاتهم على الملأ من الناس .

٥ ـ الامتناع عن الجهاد بالنفس أو المال، أو بهما معا. قال تعالى: ﴿ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ ﴾ [محمد] .

يقول الماوردى: « قوله تعالى : ﴿ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ﴾ فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أن الإحفاء أخذ الجميع، قاله ابن زيد، وقطرب، والثانى : أنه الإلحاح وإكثار السؤال، مأخوذ من الحفاء، وهو المشى بغير حذاء، قاله ابن عيسى، الثالث: أن معنى ﴿ فَيُحْفِكُمْ ﴾، أى فيجدكم تبخلوا، قاله ابن عيينة .

وقوله تعالى : ﴿ يُخْرِجْ أَضْغَانَكُم ﴾ يحتمل وجهين : أحدهما : يظهر بامتناعكم ما أضمرتموه من عدوانكم، والثانى: يظهرون عند مسألتكم ما أضمرتموه من عداوتكم»[1].

والحقد وما فى معناه من الضغن، أو الوغر أو الدوى أو الغل، إن كان مصوبا نحو أهل الصلاح والتقوى فهو قبيح مذموم .

دلنا على قبحه وذمه : أن الله مدح صنفا من الناس أنه كان إذا دعا ضمن دعاءه سؤال ربه أن يطهر قلبه من هذا المرض فقال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

[الحشر]

يقول ابن كثير ـ رحمه الله : « وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾: هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء، وهم المهاجرون ثم الأنصار، ثم التابعون لهم بإحسان، كما قال فى آية براءة : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة، وأوصافهم الجميلة، الداعون لهم

---

(١) انظر : النكت والعيون المعروف بتفسير الماوردى ٤ / ٥٤ .

فى السر والعلانية، ولهذا قال تعالى فى هذه الآية الكريمة : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ ﴾ أى قائلين : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً ﴾ أى بغضا وحسدا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ . وما أحسن ما استنبط الإمام مالك ـ رحمه الله ـ من هذه الآية الكريمة : أن الرافضى الذى يسب الصحابة ليس له فى مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء » [١] .

وبين الله أن من تمام منته، وفضله على أهل الجنة أنه طهر قلوبهم من الغل، فلا يبغض بعضهم بعضا، ولا يكره بعضهم بعضا، قال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

[الأعراف : ٤٣]

يقول الماوردى : « قوله عز وجل : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ فيه أربعة أوجه : أحدها : الأهواء والبدع ، قاله سهل بن عبد الله ، والثانى : التباغض والتحاسد، والثالث: الحقد، والرابع : نزع من نفوسهم أن يتمنوا ما لغيرهم .

وفى نزعه وجهان : أحدهما : أن الله نزع ذلك من صدورهم بلطفه، والثانى: أن ما هداهم إليه من الإيمان هو الذى نزعه من صدورهم، وفى هذا الغل قولان : أحدهما : أنه غل الجاهلية، قاله الحسن، والثانى : أنهم لا يتعادون ولا يتحاقدون بعد الإيمان، وقد روى عن على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال : إنى لأرجوا أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله فيهم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ وقيل : إنها نزلت فى أهل بدر، ويحتمل قوله : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ وجهين : أحدهما : هدانا لنزع الغل من صدورنا، والثانى : هدانا بثبوت الإيمان فى قلوبنا حتى نزع الغل من صدورنا، وفيه وجه ثالث قال جويبر : هدانا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة » [٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحجر].

يقول الماوردى : « قوله عز وجل: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ فيه وجهان: أحدهما: نزعنا بالإسلام ما فى صدورهم من غل الجاهلية ، قاله على بن الحسين ،

---

(١) انظر : مختصر تفسير ابن كثير للصابونى ٣ / ٤٧٥ .

(٢) انظر : النكت والعيون المعروف بتفسير الماوردى ٢ / ٢٨، ٢٩ .

الثانى : نزعنا فى الآخرة ما فى صدورهم من غل الدنيا قاله الحسن ، وقد رواه أبو سعيد الخدرى مرفوعا »[١] .

وبين سبحانه أنه قادر على فضح المنافقين بإبراز ما فى قلوبهم من ضَغَن وحقد فقال : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [محمد] .

قوله عز وجل : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ فيه وجهان : أحدهما : شك، قاله مقاتل، الثانى : نفاق، قاله الكلبى .

وقوله تعالى : ﴿ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُم ﴾ فيه أربعة أوجه : أحدها : غشهم، قاله السدى، الثانى : حصدهم، قاله ابن عباس، الثالث : حقدهم، قاله ابن عيسى، الرابع : عدوانهم، قاله قطرب، وأنشد :

قل لابن هند ما أردت بمنطق ساء الصديق، وسرَّ ذا الأضغان[٢]

وعن ابن عباس، عن النبى ﷺ قال : « ثلاث من لم يكن فيه غفر له ما سواه لمن شاء : من مات لا يشرك بالله شيئا، ولم يكن ساحرًا يتبع السحرة، ولم يحقد على أخيه »[٣] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال : « يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة »، فطلع رجل من الأنصار تنطف[٤] لحيته من وضوئه، وقد تعلق بعلقة بيده الشمال، فلما كان الغد، قال النبى ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبى ﷺ مثل مقالته أيضا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبى ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو، فقال : إنى لاحيت أبى، فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثا، فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى، فعلت، قال : نعم، قال أنس : فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالى فلم يره يقوم من الليل شيئا، غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله ـ عز وجل ـ وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر .

قال عبد الله : غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيرا، فلما مضت الثلاث الليالى،

---

(١) انظر : النكت والعيون المعروف بتفسير الماوردى ٢ / ٣٧٠، ٣٧١ .

(٢) انظر : النكت والعيون المعروف بتفسير الماوردى ٤ / ٥٢ .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الأدب المفرد، باب الشحناء ص ١٨١، ١٨٢ رقم (٤٣١) من حديث ابن عباس بهذا اللفظ، وفى إسناده أبو شهاب الخياط صدوق له أوهام كما فى: تقريب التهذيب ١/ ٤٧١ .

(٤) تنطف : تقطر، يقال : نطف الماء ينطف : قطر. انظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤/ ١٥٤ .

وكدت أن أحتقر عمله، قلت : يا عبد الله، لم يكن بينى وبين أبى غضب، ولا هجرة، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لنا ثلاث مرات: « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة »، فطلعت أنت الثلاث مرات، فأردت أن آوى إليك فأنظر : ما عملك، فأقتدى بك، فلم أرك عملت كبير عمل، فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال : ما هو إلا ما رأيت، قال : فلما وليت دعانى، فقال : ما هو إلا ما رأيت، غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشا، ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله : هذه التى بلغت بك، وهى التى لا نطيق » (١) .

وهكذا تكشف لنا هذه النصوص عن قبح وذم الحقد، وما فى معناه، لاسيما إذا كان منصبا على واحد من المسلمين أهل التقوى والصلاح .

ثالثا : أسباب الحقد :

وللحقد أسباب توقع فيه ، وبواعث تؤدى إليه ، وأهم هذه الأسباب وتلك البواعث :

١ ـ الحرمان :

وذلك أن الحق تبارك وتعالى قد يحرم المرء نعمة من النعم من مال، أو حرفة، أو سلطان، أو وجاهة، أو لسان، أو صحة، أو عقل وذكاء، أو زوجة وضيئة، أو ولد، أو عشيرة، أو هيبة ووقار، أو قبول ونحو ذلك، ويعطيها غيره، ويقف المرء عند هذا الحرمان ناميا أو متناسيا أن الله عز وجل يقسم النعم على عباده تبعا لما سبق فى علمه، وفى كتابه، وحسب عمل كل منهم ونواياه، حيث يقول سبحانه فى نعمة كالمال مثلا : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى] .

وحيث يقول فى الحديث القدسى : « إن من عبادى من لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه، وإن من عبادى من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه » (٢) .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد فى: المسند ١٦٦/٣ من حديث أنس بن مالك مرفوعا، وهذا لفظه، وأورده الهيثمى فى : مجمع الزوائد : كتاب الأدب : باب فى سلامة الصدر من الغش والحسد ٨ / ٨١، ٨٢ من حديث أنس بهذا اللفظ، وعزاه إلى أحمد والبزار، وعقب عليه بقوله : « رجال أحمد رجال الصحيح » .

(٢) الحديث أورده ابن كثير فى : تفسير القرآن العظيم (٣ / ٢٧٨ مختصر تفسير ابن كثير للصابونى] بغير إسناد .

وحين يقف المرء عند حدِّ هذا الحرمان ناسيا حكم الله فى خلقه، يمتلئ حقدا وغلا من داخله، ويظل ينتهز الفرصة للتعبير عن هذا الحقد، وذلك الغل فى صورة من الصور، أو شكل من الأشكال .

٢ ـ سوء التوزيع والتفريق فى المعاملة :

وقد يكون سوء التوزيع للثروة وكذلك التفريق فى المعاملة بين أفراد البيت الواحد، والعشيرة الواحدة، وبين أبناء الوطن، أو المجتمع الواحد، وكذلك الأمة الواحدة، من الأسباب التى توقع فى الحقد لا سيما والتوزيع والمعاملة ما باتا يقومان الآن على أساس المواهب والطاقات والإمكانات كما كان فى العصور الإسلامية الزاهرة، وإنما أصبحا يقومان على اتباع الهوى والمحاباة والمجاملة .

ولعل هذا هو السر فى تأكيد الإسلام على العدالة فى التوزيع ، والتسوية فى المعاملة من مستوى الأسرة البسيطة إلى مستوى الإمارة والدولة ، إذ يقول سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥) ﴾ [النساء] . ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام : ١٥٢] . ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)﴾ [المائدة] .

وإذ يقول النبى ﷺ لبشير، وقد أراد تفضيل ولده من عمرة بنت رواحة بطلب منها، على إخوانه من غيرها : « اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم »[(١)] ، وفى رواية : «قاربوا بين أولادكم »[(٢)] .

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الهبة : باب الإشهاد فى الهبة ٣ / ٢٠٦، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الهبات : باب كراهية تفضيل بعض الأولاد فى الهبة ٣ / ١٢٤١ ـ ١٢٤٤ رقم (١٦٢٣) ، وأبو داود فى السنن : كتاب البيوع : باب فى الرجل يفضل بعض ولده فى النحل ٣ / ٢٩٢، ٢٩٣ رقم (٣٥٤٢، ٣٥٤٤) ، والترمذى فى : السنن : كتاب الأحكام : باب النحل والتسوية بين الولد ٣/ ٦٤٩ رقم (١٣٦٧) وعقَّب عليه الترمذى بقوله: « هذا حديث حسن صحيح »، والنسائى فى : السنن : كتاب النحل : باب اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر النعمان بن بشير فى النحل ٦/ ٢٥٨ ـ ٢٦٢ رقم (٣٦٧٢ ـ ٣٦٨٧) ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الهبات : باب الرجل ينحل ولده ٢ / ٧٩٥ رقم (٢٣٧٥، ٢٣٧٦)، كلهم من حديث النعمان بن بشير عن أبيه مرفوعا، ولفظه كما فى مسلم : أن النعمان بن بشير قال : تصدَّق علىَّ أبى ببعض ماله، فقالت أمى عمرة بنت رواحة : لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ، فانطلق أبى إلى النبى ﷺ ليشهد على صدقتى، فقال له رسول الله ﷺ: « أفعلت هذا بولدك كلهم ؟ » قال : لا، قال : « اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم » .

(٢) هذه الرواية أخرجها مسلم فى : الصحيح : كتاب الهبات : باب كراهية تفضيل بعض الأولاد فى الهبة ٣ / ١٢٤٤ رقم (١٦٢٤) من حديث جابر مرفوعا .

٣ ـ الكبت والقهر :

وقد يكون الكبت والقهر وراء الوقوع فى آفة الحقد ؛ ذلك أن المرء إذا حيل بينه وبين التعبير عما يجيش بصدره، وما يجول بخاطره وأضيف إلى ذلك القهر على أى صورة كان: من سبّ، وتجريح، إلى سخرية واستهزاء، إلى اعتقال أو تحديد للإقامة، إلى سجن وتجويع، وضرب وتخويف، ودام هذا الكبت وذلك القهر زمانا طويلا، فإن المرء يظل يختزن كل ذلك، فى صورة عداوة تملأ الصدر، ويتحين الفرص والمناسبات ليعلن عما بداخله وهذا هو الحقد .

ولعل هذا هو السر فى دعوة الإسلام، وأمره بالشورى، وتحريم جلد الظهور، وسلب الناس أموالهم، والسخرية أو الاستهزاء بهم، إذ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى : ٣٨] . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات : ١١] .

وإذ يقول النبى ﷺ : «رجلان من أمتى لا تنالهما شفاعتى: سلطان ظلوم غشوم، وآخر غال فى الدين، مارق منه»(١)، وفى رواية: «صنفان من أمتى لا تنالهما شفاعتى: سلطان ظلوم غشوم، وغال فى الدين يشهد عليهم ويتبرأ منهم»(٢)، «إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قلتم فأحسنوا، فإن الله ـ عز وجل ـ محسن يحب المحسنين »(٣) ، «كل المسلم على المسلم حرامه دمه وماله، وعرضه »(٤) .

ولعل ما نشهده على الساحة الإسلامية اليوم من القيام فى وجه أصحاب السلطان فى كثير من أنحاء العالم الإسلامى بل العربى : مرده إلى حالات الكبت والقهر المفروض على الناس، والتى لا أمل فى زوالها، أو على الأقل التخفيف من حدتها ولو على المدى البعيد .

٤ ـ عدم رعاية حقوق الأخوة الإسلامية :

وقد يكون عدم رعاية حقوق الأخوة الإسلامية من : المواساة بالنفس وبالمال، ومن إظهار الفضائل والمحاسن، وإخفاء المعايب والرذائل، ومن الوفاء بحق الصحبة، ومن

(١، ٢) الحديث بروايتيه أورده الهيثمى فى: مجمع الزوائد: كتاب الخلافة: باب فى أئمة الظلم والجور وأئمة الضلالة ٥/ ٢٣٨، ٢٣٩ من حديث معقل بن يسار مرفوعا، وعقب عليه بقوله: « رواه الطبرانى بإسنادين فى أحدهما منيع، قال ابن عدى : له أفراد، وأرجو أنه لا بأس به، وبقية رجال الأول ثقات » .

(٣) الحديث أورده الهيثمى فى : مجمع الزوائد : كتاب الخلافة : باب فى العدل والجور ٥ / ٢٠٠ من حديث أنس ﷺ مرفوعا، وعقب عليه بقوله : « رواه الطبرانى فى الأوسط، ورجاله فى الثقات » .

(٤) جزء من حديث طويل سيأتى تخريجه فى الحاشية القادمة .

الدعاء بظهر الغيب، ومن ترك التكلف، ونحوها، من وراء الوقوع فى آفة الحقد ؛ ذلك أن المسلم إذا رأى أخاه فى النعمة، ولا يواسيه بنفس، أو مال، ولا يبرز فضائله ومحاسنه حين تقتضى الظروف ذلك، ولا يخفى عيبه ورذيلته، ويحاول التشهير به، ولا يفى له بحق الصحبة ويعرض عنه، ويتكلف له فى اللقاء، والتوديع، والضيافة ونحوها، يتغير من داخله عليه، وبمرور الزمن يتولد لديه الكراهية والبغضاء والعداوة، ويكون الحقد .

ولعل هذا هو السر فى تأكيد المنهج الإلهى على رعاية حقوق الأخوة الإسلامية، إذ يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] . ويقول فى وصف أصحاب رسول الله ﷺ مهاجرين وأنصار : ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] . ويقول : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ . [الحجرات] .

وإذ يقول النبى ﷺ : « إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا» (١) ، وفى رواية : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه»(٢). « مثل المؤمنين فى توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (٣) .

(١، ٢) الحديث أخرجه البخارى : فى الصحيح : كتاب الأدب : باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر : وباب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ ﴾ ٨ / ٢٣، ومسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب تحريم الظن والتجسس ٤ / ١٩٨٥، ١٩٨٦ رقم (٢٥٦٣، ٢٥٦٤]، وأبو داود فى : السنن : كتاب الأدب، باب فى الظن ٤/ ٢٨٠ رقم (٤٩١٧]، كلهم من حديث أبى هريرة مرفوعا، هذا وللحديث تخريج أوسع وجامع لكل الألفاظ التى روى بها فى كتابنا : « غاية البيان فى شرح مختارات من السنن ١/ ٦٧ » فليراجعه من أراد .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأدب : باب رحمة الناس والبهائم ٨ / ١٢، ومسلم فى : الصحيح : كتاب البرّ والصلة والآداب : باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٤ / ١٩٩٩، ٢٠٠٠ رقم (٢٥٨٦) ، كلاهما من حديث النعمان بن بشير ﷺ مرفوعا .

٥ ـ غرور بل تكبر الآخرين :

وقد يكون غرور بل تكبر الآخرين مما يوقع فى آفة الحقد ؛ذلك أن المغرور هو المعجب بنفسه إلى حدٍّ احتقار واستصغار كل ما يصدر عن الآخرين فى جنب ما يصدر عنه،والمتكبر هو ما يصنع ذلك من النيل من ذوات الآخرين، والترفع على أشخاصهم، ولا شك أن هذا مما يترك آثاره فى النفوس،فإذا هى مليئة من داخلها بالعداوة والبغضاء، وما هذه العداوة،وتلك البغضاء إلا الحقد،ولعل من حرص الإسلام وتأكيده على طهارة النفوس من الغرور والتكبر إنما هو العمل على حماية الآخرين من الوقوع فى هذه الآفة بذمها والتحذير منها على النحو الذى ذكرنا فى علاج كل من الغرور والتكبر[١] .

٦ ـ استغلال الآخرين :

وقد يكون استغلاء الآخرين للمرء، ولاسيما فى أوقات الشدائد والمحن، من الأسباب الحاملة على الحقد، فقد تنزل بالمرء شدة أو ضائقة، ويتلفت فلا يجد عونا من الآخرين إلا إذا كانت هناك منفعة مادية بحتة، وتحت وطأة الحاجة يقبل، ولكنه والحالة هذه لا يسلم صدره من العداوة والبغضاء بل يتحين الفرصة للانتقام، وهذا هو الحقد .

ولعل هذا هو السر فى مجيء النصوص الكثيرة التى تحظر على المسلم استغلال الآخرين فى أى صورة من صور الاستغلال كالربا، والاحتكار، والغبن، وأكل أموال اليتامى ظلمًا ونحوها ، إذ يقول سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾** ﴾ [البقرة] . ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾** ﴾ [النساء] .

وإذ يقول ﷺ : « درهم ربا يأكله الرجل ـ وهو يعلم ـ أشد عند الله من ست وثلاثين زنية »[٢] ، « لا تلقوا البيوع، ولا يبع بعض على بعض، ولا يخطب أحدكم ـ

---

(١) راجع هاتين الآفتين فى الجزء الأول من هذا الكتاب « آفات على الطريق » .

(٢) الحديث أورده الألبانى فى : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣ / ٢٩ رقم (٣٣ . ١) ، وعزاه إلى الطبرانى فى الأوسط والدارقطنى فى : السنن، وأحمد فى : المسند من حديث ابن أبى مليكة عن عبد الله بن حنظلة الراهب موقوفا ومرفوعا، ثم عقب بقوله : « ثم إن الموقوف فى حكم المرفوع ؛ لأنه لا يقال بمجرد الرأى كما لا يخفى » .

أو أحد ـ على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب الأول أو يأذنه فيخطب »[١] .

٧ ـ التفريط فى حق الجار :

وقد يكون التفريط فى حق الجار مسلما أو غير مسلم، قريبا أو غير قريب، من الأسباب المؤدية إلى الحقد ؛ ذلك أن المرء إذا رأى جاره لا يرعى حقوق الجار، وأبسط شىء فى ذلك المواساة بالنفس والمال، فإنه يبغضه، ويظل هذا البغض ينمو حتى يصل إلى أن يصير حقدا .

ولعل هذا من بين الأسرار التى من أجلها دعا الإسلام إلى رعاية حق الجوار، إذ يقول الحق ـ تبارك وتعالى : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦)** ﴾ [النساء] .

وإذ يقول النبى ﷺ : «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[٢] ،

---

(١) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند ٢ / ١٥٣ من حديث نافع عن ابن عمر قال : نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد، وكان يقول : « لا تلقوا البيوع . . . » الحديث، وأورده الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣ / ٢٧ رقم (١٠٣٠) ، وعزاه إلى أحمد فى : المسند عن ابن عمر، وعقب عليه بقوله : « قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وقد أخرجاه بنحوه مفرقا . . » .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الأدب: باب الوصاة بالجار ٨/ ١٢، ومسلم فى: الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب : باب الوصية بالجار والإحسان إليه ٤/ ٢٠٢٥ رقم (٢٦٢٤، ٢٦٢٥)، كلاهما من حديث ابن عمر وعائشة مرفوعا، وأبو داود فى: السنن : كتاب الأدب، باب فى حق الجوار ٤ / ٣٣٨، ٣٣٩ رقم (٥١٥١، ٥١٥٢)، ولفظ حديث ابن عمرو : أنه ذبح شاة، فقال : أهديتهم لجارى اليهودى فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما زال جبريل »، وساق الحديث، والترمذى فى : السنن: كتاب البر والصلة : باب ما جاء فى حق الجوار ٤ / ٢٩٣، ٢٩٤ رقم (١٩٤٢) من حديث عائشة مرفوعا، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح » ورقم (١٩٤٣) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا بلفظ أبى داود المتقدم، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد روى هذا الحديث عن مجاهد، عن عائشة وأبى هريرة عن النبى ﷺ أيضا »، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الأدب، باب حق الجوار ٢/ ١٢١١ رقم (٣٦٧٣) من حديث عائشة مرفوعا، ورقم (٣٦٧٤) من حديث أبى هريرة وعقب عليه البوصيرى فى: مصباح الزجاجة: كتاب الأدب: باب حق الجار ٤/ ١٠٢ بقوله : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، رواه ابن حبان فى صحيحه من طرق داود ابن فراهيم، عن أبى هريرة به، وله شاهد فى الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة، وأبى شريح، ورواه البخارى من حديث عبد الله بن عمرو، ورواه الترمذى فى الجامع من حديث عبد الله بن عمرو»، وأحمد فى: المسند ٢/ ٨٥ من حديث ابن عمر مرفوعا ٢ / ١٦٠ من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا، ٢/ ٢٥٩ من حديث أبى هريرة، وفى رواية أخرى ٢ / ٣٠٥ أن النبى ﷺ قال : « أتانى جبريل عليه السلام، فقال : إنى كنت أتيتك الليلة، فلم يمنعنى أن أدخل عليك البيت الذى أنت فيه إلا أنه كان فى البيت =

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره . . . » الحديث[1] . إلى غير ذلك من النصوص .

٨ ـ تفكك الأسرة مع عدم سعى الأمة فى علاج هذا التفكك :

وقد يكون تفكك الأسرة بسبب موت العائل أو الطلاق، والزواج بأخرى فى ضوء غياب القيم، والضوابط الشرعية، ومع عدم سعى الأمة، حكاما، ومحكومين فى القيام بواجبها نحو علاج هذا التفكك، من بين الأسباب المؤدية إلى الحقد ؛ ذلك أن الأسرة هى المحضن الأساسى فى تخريج وحماية الأجيال . ويوم يطرأ على الأسرة ما يؤدى إلى تفككها على النحو الذى ذكرنا، وينساها المجتمع، فإن الأولاد يتعرضون لحرمان وتشريد ينتهى بهم إلى الحقد على كل أجناس وطبقات المجتمع .

ولعل هذا من بين الأسرار التى من أجلها أوجب الإسلام الولاية بين المؤمنين بعضهم بعضا، إذ يقول سبحانه : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ [التوبة : ٧١] .

كما أوجب العدل عند تعدد الزوجات، وكذلك كفالة اليتامى وحذر من إهمالهم، إذ يقول سبحانه : ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم** ﴾ [النساء : ٣] . ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا**

= تمثال رجل . . . » الحديث، وفى آخره: «وما زال يوصينى بالجار حتى ظننت، أو رأيت أنه سيورثه »، ٢/ ٤٤٥، ٤٥٨، ٥١٤ من حديث أبى هريرة أيضا، ٥ / ٣٢، ٣٦٥ من حديث رجل من الأنصار قال: خرجتُ من أهلى أريد النبىﷺ فإذا أنا به قائم ، ورجل معه مقبل عليه ، فظننت أن لهما حاجة ، فقال الأنصارى : والله لقد قام رسول اللهﷺ حتى جعلت أرثى لرسول الله من طول القيام، فلما انصرف قلت : يا رسول الله : لقد قام بك الرجل، حتى جعلت أرثى لك من طول القيام، قال: «ولقد رأيته ؟ » قلت: نعم: قال :« أتدرى من هو ؟ » قلتُ : لا، قال : « ذاك جبريل عليه السلام ما زال يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »، ثم قال: « أما إنك لو سلمت عليه رد عليك السلام »، ٦/ ٥٢، ٩١، ١٢٥، ١٨٧، ٢٣٨، من حديث عائشة مرفوعا .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأدب : باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ٨/ ١٣، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الإيمان : باب الحث على إكرام الجار. . . إلخ ١ / ٦٩ رقم (٤٨) من حديث أبى شريح العدوى الخزاعى مرفوعا، ١/ ٦٨، ٦٩ ورقم (٤٧) من حديث أبى هريرة مرفوعا، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الأدب: باب حق الجوار ٢ / ١٢١١ رقم (٣٦٧٢) من حديث أبى شريح الخزاعى مرفوعا، والدارمى فى : السنن : كتاب الأطعمة : باب فى الضيافة ٢/ ٩٨ من حديث أبى شريح الخزاعى مرفوعا، ومالك فى : الموطأ : كتاب صفة النبىﷺ : باب جامع ما جاء فى الطعام والشراب ص ٥٧٨ رقم (٢٢) من حديث أبى شريح الكعبى مرفوعا .

يُنفقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥) ﴾ [البقرة] . ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ [البقرة : ٢٢٠] .

٩ ـ السماع للوشاة من غير تثبيت :

وقد يكون السماع للوشاة من غير تثبيت هو السبب فى الحقد ؛ ذلك أن المرء كثيرا ما يتأثر بما يسمع، وإذا لم يكن عاقلا، وتبين أو تثبت من كل ما يسمع، فإنه يبنى على ذلك أحكاما قد يكون من بينها العداوة والبغضاء والحقد .

وخير ما نستدل به على ذلك : ما يلقيه أعداء الله على حكام المسلمين من أن الإسلاميين يريدون أخذ الكرسى والسلطة منهم ويصدقهم الحكام من غير تبين أو تثبت، وتكون العاقبة الحقد والسعى للانتقام، والتنكيل بهؤلاء .

ومن هذا الباب أيضا : ما يصنعه نفر من الجماعات الإسلامية تجاه جماعة أخرى أكثر ظهورا وانتشارا وقبولا فى الناس، واستقامة على منهج الحق، إذ يلقون فى روع خالى الذهن من أى تصور عن هذه الجماعات أن الجماعة ذا السمت الفلانى جماعة مبتدعة بل كافرة، ذات صلة بالاستعمار والصهيونية، والرافضة، ويظلون يكيلون مثل هذه التهم، ولا يطالبهم المخاطب بالدلائل الواضحات القطعيات البينات، بل ربما يأخذون عليهم العهد والميثاق ألا يتصلوا بأى واحد له انتماء لهذه الجماعة، وألا ينظر فى فكرهم، وألا يشهدوا أى تجمع لهم، وألا يسمعوا لأى متحدث فيهم، وتكون النتيجة العداوة والبغضاء أو الحقد.

ومن أجل هذا وغيره دعانا الله ـ عز وجل ـ إلى التثبيت أو التبين فقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) ﴾ [الحجرات] . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤) ﴾ [النساء] .

١٠ ـ القطيعة أو الهجر الطويل :

وقد تكون القطيعة أو الهجر الطويل من بين الأسباب التى تؤدى إلى الحقد ؛ ذلك أنه قد يختلف المرء مع غيره لسبب أو لآخر، وربما تكون النتيجة القطيعة أو الهجر، ولا ضير فى قطيعة خفيفة، أو هجر يسير ريثما تهدأ النفوس، وتكون المراجعة، وعودة المياه

إلى مجاريها، لكن أن تدوم القطيعة، وأن يطول الهجران، فذلك هو الخطر بعينه ؛ لأنه مع كل يوم يتعمق البغض، وترسخ البغضاء، وتكون العاقبة الوقوع فى الحقد، والعياذ بالله .

ولعل هذا هو سر تحريم طول القطيعة أو الهجران بين المتخاصمين ، إذ يقول النبى ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام »(١) . « لا هجر بعد ثلاث »(٢) .

١١ ـ المراء أو الجدل :

وقد يؤدى المراء أو الجدل إلى الوقوع فى الحقد ؛ ذلك أن كلا من المتجادلين أو المتمارين يكون حريصا على إفحام الآخر وغلبته، وحين ينهزم أحدهما أمام الآخر، ويكون غير قادر على الانتقام، يضمر فى نفسه الحقد، والعداوة، والبغضاء .

وفى هذا يقول المناوى : الحقد من البلايا التى ابتلى بها المناظرون، قال الغزالى : لا يكاد المناظر ينفك عنه، إذ لا تكاد ترى مناظرا يقدر على ألا يضمر حقدا على من يحرك رأسه عند كلام خصمه، ويتوقف فى كلامه، فلا يقابله بحسن الإصغاء، بل يضمر الحقد، ويرتبه فى النفس .

١٢ ـ البيئة المحيطة بالمرء :

وقد تكون البيئة التى يوجد فيها المرء قريبة كانت كالبيت، أو بعيدة كالمجتمع هى

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأدب : باب الهجرة، وقول رسول الله ﷺ : « لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث » ٨ / ٢٦، وكتاب الاستئذان : باب السلام للمعرفة وغير المعرفة ٨ / ٦٥، ومسلم فى: الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعى ٤/ ١٩٨٤ رقم (٢٥٦٠) ، كلاهما من حديث أبى أيوب الأنصارى مرفوعا بهذا اللفظ ورقم (٢٥٦١) من حديث ابن عمر بلفظ : « لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » وأبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب فيمن يهجر أخاه المسلم ٤ / ٢٧٨، ٢٧٩ رقم (٤٩١١) من حديث أبى أيوب مرفوعا، ورقم (٤٩١٢، ٤٩١٤) من حديث أبى هريرة بنحوه، ورقم (٤٩١٣) من حديث عائشة بنحوه، والترمذى فى : السنن : كتاب البر والصلة : باب ما جاء فى كراهية الهجر للمسلم ٤ / ٢٢٨، ٢٨٩ رقم (١٩٣٢) من حديث أبى أيوب مرفوعا، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح »، وأحمد فى : المسند ١ / ١٧٦، ١٨٣ من حديث سعد بن أبى وقاص مرفوعا بلفظ : « قتال المؤمن كفر، وسبابه فسوق، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام »، ٣ / ١١٠، ١٦٥، ١٩٩، ٢٠٩، ٢٢٥ من حديث أنس مرفوعا بنحوه ، ٤ / ٢٠ من حديث هشام بن عامر بنحوه، ٤ / ٣٢٧، ٣٢٨ من حديث عائشة مرفوعا بنحوه، ٥ / ٤١٦، ٤٢١، ٤٢٢ من حديث أبى أيوب مرفوعا .

(٢) هذه الرواية بهذا اللفظ أخرجها مسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعى ٤ / ١٩٨٤ رقم (٢٥٦٢) من حديث أبى هريرة مرفوعا .

السبب فى الوقوع فى الحقد ؛ ذلك أن المرء كثيرا ما يتأثر بالوسط الذى يعيش فيه، وإذا كان هذا الوسط مبتلى بالحقد، فإنه يعمل على توريثه للمستعدين لذلك ممن يعيشون معه، وقد رأينا كثيرين ورثوا الحقد من آبائهم أو من مجتمعهم قيادة، وجندية، كما نبهنا على ذلك غير مرة فيما سبق من آفات .

١٣ ـ الجهل بالعواقب المترتبة على الحقد :

وأخيرا قد يكون الجهل بالعواقب المترتبة على الحقد، سواء على العاملين أو على العمل الإسلامى ـ كما سنذكر هذه العواقب بعد قليل ـ هو السبب فى الوقوع فى الحقد، فإن المرء إذا جهل العواقب الضارة، والآثار المهلكة المترتبة على أمر ما، فإنه يقع فى هذا الأمر ، بل ربما كان نصيرًا له مدافعًا عنه ، وهذا شأن كثير من الناس ؛ ولهذا دعا الله إلى الفقه فى الدين، وجعله من الجهاد فقال : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) ﴾ [التوبة] . وقال لنبيه ﷺ : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

رابعا : آثار الحقد :

وللحقد آثار ضارة، وعواقب مهلكة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامى، ودونك طرفا من هذه الآثار، وتلك العواقب :

أ ـ على العاملين :

فمن آثار الحقد على العاملين :

١ ـ القلق والاضطراب النفسى :

وذلك أن كراهية الناس إلى حد الحقد عليهم بغير موجب ولا مبرر مع عدم السعى فى التطهر منها، تكون عاقبتها القلق والاضطراب النفسى، وكفى بذلك عقابا، إذ قد ينتهى بصاحبه إلى الموت كما حكى سبحانه عن صنف من المنافقين لم يكن لهم من عمل إلا الحقد على المؤمنين: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٢٠]. ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) ﴾ [آل عمران] .

٢ ـ الحسد :

وذلك أن الحاقد ممتلئ عداوة وبغضا من داخله، ويحاول التنفيس عن هذا الذى بداخله، ويرى الحسد ـ وهو تمنى زوال نعمة من يحقد عليه ـ ميدانا واسعا من ميادين

هذا التنفيس، فيأخذ به، والحسد مما يحبط العمل، ويبطله كما سيظهر من خلال الحديث عن هذه الآفة مستقبلا إن شاء الله تعالى .

٣ ـ الشماتة بالغير :

وذلك بالسرور والفرح حين تلم بالمحقود عليه مصيبة أو تنزل به كارثة، كما قال سبحانه عن المنافقين : ﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ [آل عمران : ١٢٠] . والمسلم منهى عن الشماتة بالمسلمين، إذ يقول النبى ﷺ : « لا تظهر الشماتة لأخيك، فيرحمه الله ويبتليك » (١) .

٤ ـ تضييع ما تبقى من حقوق الأخوة الإسلامية :

وذلك أنه قد مضى معنا أن من أسباب الوقوع فى الحقد : عدم رعاية الأخوة الإسلامية، ويحاول الحاقد الرد على ذلك بأن يضيع هو الآخر ما تبقى من حقوق الأخوة الإسلامية، فيكون منه الهجران والقطيعة، والاحتقار والاستهزاء والسخرية، والنيل منه بما لا يحل من سوء الظن، وتتبع العورات، والغيبة والنميمة، وقد يتفاقم هذا الحقد، فيصل إلى حد الإيذاء البدنى بالضرب ونحوه، ومنعه حقه من قضاء دين، أو صلة رحم، أو رد مظلمة، أو نصرته فى وقت يوجب النصرة، وذلك كله حرام يأكل الحسنات ويؤدى إلى عذاب جهنم والعياذ بالله .

٥ ـ الحرمان من الأجر والثواب :

وذلك أن الحاقد يخاف الوقوع فى العواقب المذكورة آنفا نظرًا لما يترتب عليها من الإثم والعذاب، فيجاهد نفسه ويبتعد عنها غير أنه لا يتجاوز ذلك إلى ما يوجب الفضل العظيم والثواب الجزيل من البشاشة، والرفق، والإفساح فى المجلس، وإظهار المحاسن والفضائل والتحريض على البر والمواساة بل والإيثار .

يقول أبو حامد الغزالى عن آثار الحقد التى ذكرنا فى إجمال : « والحقد يثمر ثمانية أمور :

الأول : الحسد، وهو أن يحملك على أن تتمنى زوال النعمة عنه، فتغتم بنعمة إن أصابها، وتسر بمصيبة إن نزلت به، وهذا من فعل المنافقين، وسيأتى ذمه إن شاء الله تعالى .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع : باب (٥٤) ٤/٥٧١ رقم (٢٥٠٦) من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعا بهذا اللفظ ، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن غريب » .

الثانى : أن تزيد على إضمار الحسد فى الباطن، فتشمت بما أصابه من البلاء.

الثالث : أن تجهره، وتصارمه، وتنقطع عنه، وإن طلبك، وأقبل عليك .

الرابع : وهو دونه، أن تعرض عنه استصغارا له .

الخامس : أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب، وغيبة، وإفشاء سر، وهتك ستر، وغيره .

السادس : أن تحاكيه استهزاء به، وسخرية منه .

السابع : إيذاؤه بالضرب، وما يؤلم بدنه .

الثامن : أن تمنعه حقه من قضاء دين، أو صلة رحم، أو رد مظلمة، وكل ذلك حرام .

وأقل درجات الحقد : أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تعصى الله به، ولكن تستثقله فى الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه، حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة، والرفق، والعناية، والقيام بحاجاته، والمجالسة معه على ذكر الله تعالى، والمعاونة على المنفعة له، أو بترك الدعاء له، والثناء عليه، والتحريض على بره ومواساته، فهذا كله مما ينقص درجتك فى الدين، ويحول بينك وبين فضل عظيم، وثواب جزيل، وإن كان لا يعرضك لعقاب الله »[1] .

ب ـ على العمل الإسلامى :

وأما آثار الحقد على العمل الإسلامى فتتلخص فى :

١ ـ قلة كسب الأنصار :

وذلك أن الحاقد قد أتى من المعاصى والآثام ما يوجب نفرة الآخرين منه، بل عدم تأثرهم بما يصدر عنه، إذا لم يجدوا فيه النموذج الذى ينبغى الاقتداء أو التأسى به، فيتولون عنه ويخسر العمل الإسلامى سواعد تشارك فى حمل الأمانة وإبلاغها للناس، وحمايتها من كيد الكائدين، وعبث العابثين أو على الأقل تؤيد ولو بالدعاء من يحملون هذه الأمانة ويحاولون الخروج من هذه التبعة وتلك المسؤولية .

---

(١) انظر : إحياء علوم الدين ٣/ ٢٦٦ .

وقد جاء فى الحديث : « . . . والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف » (١) .

٢ ـ الفرقة والتمزق :

وكذلك تكون عاقبة الحقد على العمل الإسلامى الفرقة والتمزق ذلك أنه إذا شاع الحقد فى هذا الوسط، فإنه يثمر عدم رعاية حقوق الأخوة الإسلامية، وتكون العاقبة الفرقة والتمزق الأمر الذى يفتح الطريق أمام أعداء الله فيمسكون بخناقنا، ويضيقون هذا الخناق حول أعناقنا يوما بعد يوم ويحرمنا الله عز وجل تأييده ونصره، فتطول الطريق وتعظم التكاليف .

خامسا : علاج الحقد :

وما دمنا قد عرفنا حقيقة الحقد، ومظاهره، وموقف الإسلام منه، وأسبابه، وآثاره، فقد سهل علينا تحديد سبيل العلاج بل الوقاية، وتتلخص هذه السبيل فى هذه الخطوات :

١ ـ اليقين التام بأن الله عز وجل عليم حكيم، يعطى العباد من النعم تبعا لما سبق فى علمه، وما اقتضته حكمته، وما فيه مصلحة للعبد، فإن هذا اليقين يحمل صاحبه على الرضا بما قسم الله وأعطى من النعمة، أعم من أن تكون هذه النعمة له، أو للآخرين .

٢ ـ الحرص على العدالة فى التوزيع، والتسوية فى المعاملة من الأب لأولاده، ومن الأخ لإخوانه، ومن الحاكم للرعية، فإن ذلك له دور كبير فى اقتلاع جذور الحقد من النفس، وأن يحل محله العفو، والصفح، والإحسان .

٣ ـ إعطاء الغير الحق فى التعبير عما يدور بداخله، ومنع جلد الظهور، والاعتداء على الدماء، والأموال والأعراض، فإن هذا مما يساعد كذلك فى تطهير النفس من الحقد، وصبغها بصبغة العفو والتسامح .

٤ ـ رعاية حقوق الحقوق الإسلامية ـ على النحو الذى شرحنا ـ فإن هذا له دور كبير فى القضاء على هذا الحقد، وآثاره، وأن يعيش المسلمون أعزة كرماء، وفى رفاهية ورخاء .

---

(١) سبق تخريجه .

٥ ـ التخلص من أمراض الإعجاب بالنفس، والغرور، والتكبر على النحو الذى تقدم فى الجزء الأول من هذه الآفات، فإنه بالتخلص من هذه الأمراض تكون طهارة النفس من الحقد .

٦ ـ التحذير بعدم استغلال الآخرين فى أى صورة من الصور ببيان أن هذا الاستغلال تكون له عواقب وخيمة، ومنها الحقد، فلعل هذا التحذير يؤدى إلى تلاشى الاستغلال، وأن يحل محله الرحمة، والمواساة بل والإيثار .

٧ ـ التأكيد على رعاية حقوق الجار بغض النظر عن عقيدة وجنسية هذا الجار، فإنه إذا روعيت هذه الحقوق وكانت صادقة أثمرت اقتلاع جذور العداوة والبغضاء والحقد .

٨ ـ السعى لحل المشكلات الأسرية، ورعاية العدالة عند تعدد الزوجات، وكفالة اليتامى حين يموت عائلهم كفالة تحميهم من سائر العلل والأمراض الظاهرة والباطنة، فلعل هذا يسهم فى اقتلاع جذور الحقد من النفس .

٩ ـ التثبت من كل ما نرى، وما نسمع، فإن هذا له دور كبير فى عدم الوقوع فى الحقد أصلا، ومن باب أولى التخلص منه، إن كان قد ألقى بجرانه فى الصدر.

١٠ ـ السعى لقطع الهجران بطريق أو بأخرى، فإن هذا له دور كبير فى اقتلاع بذور الحقد من النفس، قبل أن تنبت وتثمر، والقصة التالية تشرح ذلك :

«جاء عن عوف بن مالك بن الطفيل ـ هو ابن الحارث ـ وهو ابن أخى عائشة زوج النبى ﷺ لأمها : أن عائشة حدثت أن عبد الله بن الزبير قال فى بيع أو عطاء أعطته عائشة : والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها، فقالت : أهو قال هذا ؟ قالوا : نعم، قالت: هو لله على نذر، ألا أكلم ابن الزبير أبدًا، فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة ، فقالت : والله لا أشفع فيه أبدًا ولا أتحنث إلى نذرى ، فلما طال ذلك على ابن الزبير، كلم المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ـ وهما من بنى زهرة ـ وقال لهما : أنشدكما بالله لما أدخلتمانى على عائشة، فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتى، فأقبل به المسور، وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما، حتى استأذنا على عائشة، فقالا : السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل ؟ قالت عائشة : ادخلوا : قالوا : كلنا ؟ قالت: نعم ادخلوا كلكم، ولا تعلم أن معهما ابن الزبير، فلما دخلوا : دخل ابن الزبير الحجاب، فاعتنق عائشة ، وطفق يناشدها ، ويبكى ، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته، وقبلت منه ويقولان : إن النبى ﷺ نهى عما قد

علمت من الهجرة، فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فلما أكثروا على عائشة من التذكرة، والتحريج طفقت تذكرهما، وهى تبكى، وتقول : إنى نذرت، والنذر شديد، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت فى نذرها ذلك أربعين رقبة، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك، فتبكى حتى تبل دموعها خمارها »[1] .

١١ ـ تنقية المحيط الذى يعيش فيه المرء، قريبا كالبيت أو بعيدًا كالمجتمع، من الحقد، بل تهيئة الأجواء الطاهرة النظيفة القائمة على سلامة الصدر من الأحقاد، بل المواساة والإيثار فإن ذلك له دور كبير فى العلاج من الحقد، بل والتحصن ضده.

١٢ ـ دوام العيش مع كتاب الله وسنة وسيرة النبى ﷺ وكيف جاء الذم للغل، والبغضاء، والدغل، والضغن، ونحوها مما يصب فى النهاية فى إناء الحقد فإن ذلك يساعد أولا على مجاهدة النفس والتطهر أو التخلص من الحقد، وثانيا يقوى الإيمان فى النفس، بحيث تسد الطريق فى وجه الحقد، فلا يدخل إلى هذه النفس مرة أخرى .

١٣ ـ محاسبة النفس أولا بأول، وإفهامها أن الحقد على الآخرين ؛ لأنهم أوتوا من النعمة ما حرمت منه يعنى الاعتراض على الله وعدم الرضا بقضائه وقدره، وهذا خدش فى أصل الإيمان يوجب أن يحبط العمل، وأن يحل غضب الله فى الدنيا والآخرة .

١٤ ـ دوام المطالعة فى التاريخ الإسلامى، والسماع والنظر فيما جاء عن السلف فى علاج الحقد عند الآخرين، حيث كانوا يقابلون السيئة بالحسنة، فيقدمون لهؤلاء النفقة، والهدية، ويحسنون جوارهم، وضيافتهم، ويتفقدونهم، ويشاركونهم أفراحهم ولا يؤذونهم فى غياب أو حضور، ويدعون لهم بظهر الغيب وهكذا، وحسبنا هنا موقف الصديق من مسطح بن أثاثة، وكان قريبا له، وكان الصديق يتعهده بالنفقة، وحين تورط فى حادثة الإفك حلف الصديق أن يمنع عنه رفده وعطاءه، فنزل القرآن يقول : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور] .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الأدب: باب الهجرة، وقول الرسول: « لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث » ٨/ ٢٥ من حديث عوف بن مالك بن الطفيل عن عبد الله بن الزبير بهذا اللفظ.

وحين سمع الصديق ذلك قال : بلى يا رب أحب أن تغفر لى، وعاد إلى النفقة عليه وكفر عن يمينه[١] .

وهذا الفاروق عمر كان يرى عدم قسمة أراضى سواد العراق والشام ومصر ونحوها محتجا بأن مثل هذا الفتح لا يكون كل يوم، وأنه إذا قسمت هذه الأراضى بين المقاتلين لم يبق شىء لمن بعدهم، ولم يبق لبيت المال مورد ثابت، كما استند إلى آيات سورة الحشر : ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

[الحشر]

قائلا : « قد أشرك الله الذين يأتون من بعدكم فى هذا الفىء، فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شىء، ولئن بقيت ليبلغن الراعى بصنعاء نصيبه من هذا الفىء، ودمه فى وجهه ـ يعنى كرامته مصونة، إذ يقال لمن يسأل الناس : أراق ماء وجهه »[٢] .

يقول الدكتور يوسف القرضاوى معقبا على هذه الآيات، وفقه عمر هذا :

« وقررت الآيات توزيع عائد الفىء توزيعا عادلا، لا زال غرة فى جبين الإنسانية، فجعلت نصيبا فيه للجيل الحاضر من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم،

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الشهادات : باب تعديل النساء بعضهن بعضا ٣/ ٢٢٧ ـ ٢٣١، وكتاب المغازى : باب حديث الإفك ٥/ ١٤٨ ـ ١٥٤، وكتاب التفسير : سورة النور : باب منه ٦/ ١٢٧ ـ ١٣٢، ومسلم فى : الصحيح : كتاب التوبة : باب فى حديث الإفك وقبوله توبة القاذف ٤ / ٢١٢٩ ـ ٢١٣٧ رقم (٢٧٧٠)، والترمذى فى : السنن : كتاب تفسير القرآن : باب ومن سورة النور ٥/ ٣١٠ ـ ٣١٤ رقم (٣١٨٠) ، وأحمد فى: المسند ٦/ ٥٩ ـ ٦١، ١٩٤ ـ ١٩٧، كلهم من حديث عائشة ﵂ وعقب الترمذى على حديثه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح غريب، من حديث هشام بن عروة، وقد رواه يونس بن يزيد، ومعمر وغير واحد عن الزهرى، عن عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص الليثى، وعبيد الله بن عبد الله، عن عائشة هذا الحديث أطول من حديث هشام بن عروة، وأتم » .

(٢) انظر : الخراج لأبى يوسف ص ٢٣، ٢٤، وعنه نقل الدكتور يوسف القرضاوى فى : فقه الزكاة .

وصودرت ملكياتهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله، ومن الأنصار الذين فتحوا صدورهم، ودورهم لإخوانهم المهاجرين، فآووا ونصروا، وآثروا على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة، وأشركت مع هذا الجيل الذى بذل، وضحى أجيالا أخرى، عبر عنهم القرآن بقوله : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [الحشر : ١٠] .

وبهذا علمتنا الآيات الكريمة : أن الأمة كلها وحدة متكاملة على اختلاف الأمكنة، وامتداد الأزمنة، وأنها ـ على مر العصور ـ حلقات متماسكة، يعمل أولها لخير آخرها، ويغرس سلفها ليجنى خلفها، ثم يأتى الآخر، فيكمل ما بدأه الأول، ويفخر الأحفاد بما فعله الأجداد، ويستغفر اللاحق للسابق، ولا يلعن آخر الأمة أولها، وبهذا التوزيع العادل تفادى الإسلام خطأ الرأسمالية التى تؤثر مصلحة الجيل الحاضر، ومنفعته مغفلة ـ فى الغالب ـ ما وراءه من الأجيال، كما تجنب خطأ الشيوعية التى تتطرف كثيرا إلى حد التضحية بجيل، أو أجيال قائمة فى سبيل أجيال لم تطرق بعد أبوب الحياة .

ولهذا قال الفقيه الجليل معاذ بن جبل لأمير المؤمنين عمر ـ حين هم بقسمة الأرض أول الأمر على الفاتحين ـ : والله إذن ليكونن ما تكره، إنك إن قسمتها اليوم صار الريع العظيم فى أيدى القوم، ثم يبيدون، فيصير إلى الرجل الواحد، والمرأة، ثم يأتى بعدهم قوم يسدون من الإسلام سدا ـ يعنى يدافعون عنه ـ وهم لا يجدون شيئا، فانظر أمرا يسع أولهم، وآخرهم، قال : فصار عمر إلى قول معاذ .

ومن هنا قال عمر لبلال وغيره ـ ممن عارض وقف الأرض على الأمة كلها ـ : تريدون أن يأتى آخر الناس ليس لهم شىء »[1] .

وبالجملة فإن عمر كان يرى أن بقاء هذه الأرض ملكا للأمة كلها دون قسمة لها على الأجيال الحاضرة، مما يتفق وجوهر هذا الدعاء : ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [الحشر : ١٠] .

١٥ ـ التذكير الدائم بهذا الداء وخطورته على الفرد والجماعة، وأسبابه وسبيل الوقاية منه، فإن الإنسان ينسى، وعلاج النسيان إنما يكون بالتذكير .

١٦ ـ كثرة الدعاء والتبتل والضراعة إلى الله ـ عز وجل ـ أن يطهر القلوب من هذا الداء، وخير ما ندعو به فى هذا المقام ما قدمنا مما علمنا الله فى كتابه .

---

(١) انظر : فقه الزكاة ١ / ٤٠٦ ـ ٤١٠ .